

صاحب الكرم¹

إلهنا الصالح شبه كنيسته بالكرم، والرعاة بالكرامين. أما هو فقال عنه الكتاب إنه: "صاحب الكرم" (لو 20: 15). إذن فالكنيسة المقدسة ملك لله نفسه. هو صاحبها. وليس هي ملكاً لهذا الراعي أو ذاك. إنها كنيسة المسيح.

أما الرعاة ف مجرد وكلاء، ينوبون عن صاحب الكرم. يديرون الكرم حسب مشيئته هو، وليس حسب مشيئتهم الخاصة.

سلطانهم ليس سلطاناً مطلقاً، وإنما في حدود أوامر صاحب الكرم وقوانينه المقدسة التي وضعها رسالته وقديسوه.

مسكين هو الراعي الذي يظن نفسه صاحباً للكرم، يتصرف فيه حسب هواه: يولي من يشاء، ويعزل من يشاء، ويمنع من يشاء، ليس حسب قانون أو آية من الكتاب، وإنما لأنه هو أراد فكان..

إن الأسقف - مثلاً - إذا عين أحداً، إنما يكون مقيداً بأيات الكتاب وقوانين الكنيسة في صفات هذا الشخص، وطريقة توليه لعمله. كوكيل لصاحب الكرم، يجب أن ينفذ تعليماته في هذا الخصوص. وإذا حكم على أحد، إنما يجب أن يحكم في نطاق الحدود التي يسمح لها بها صاحب الكرم، والإلا فإن الحكم يخرج من فيه على نفسه كما يقول الآباء الرسل..

وهذا الراعي عندما جعله صاحب الكرم وكيلًا، إنما فعل ذلك لكي يعتني الوكيل بالكرم ويهتم به، لا ليأخذ الأمر كمنصب يتمجد به.

وهكذا يقول رب: "مَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الْأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَىٰ خَدَمَهِ لِيُعْطِيهِمُ طَعَامَهُمْ فِي حَيْنَهِ؟ طُوبَىٰ لِذَلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هَكَذَا!" إذن هو صار وكيلًا ليهتم، ويتعب ويعتني، ويسرير الليل والنهار، ويحمل الصليب كل وقت لـ"يعطيهم طعامهم في حينه". هو راع ليخدم الناس، لا ليخدم منهم. وهكذا تعب الرسل في الخدمة. وهكذا قال بولس الرسول: "إن اشتهر أحد الأسقفيه، فقد اشتهرى عملاً صالحًا" أي إن اشتهرى أحد أن يتعب من أجل الله، ويتحمل، ويبذل نفسه عن الآخرين.

¹ مقالة لنافقة الأنبا شنوده أسقف التعليم، صفحة الرعاية: صاحب الكرم بمجلة الكرازة: أغسطس 1966 السنة الثانية- العدد السادس.

أما إن استخدم سلطانه لإتعاب غيره، وللسبيطة وإذلال الناس. أما "إِنْ قَالَ ذَلِكَ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ: إِنْ سَيِّدِي يُبْطِئُ فِي قُدُومَهُ، فَيَبْتَدِئُ أَنْ يَضْرِبُ الْعَبْدَ وَالْإِمَاءَ"، فماذا يقول رب عن مثل هذا الوكيل؟ مخيف هو قول رب، إن كتبته أكتبه وأنا مرتعد يقول: "يَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّعُهُ، وَفِي السَّاعَةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا. فَيَشْقِهُ مِنْ وَسْطِهِ، وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ عَدِيمِي الإِيمَانِ" (لو 12).

ومن إهتمام الكنيسة بهذا المثل، وضعته لنا في الأجبية نتلوه في الهجعة الثالثة من صلاة نصف الليل كل يوم، لتنكر، ونخاف..

مسكين ذلك الراعي الذي يظن أن صاحب الكرم "يُبْطِئُ فِي قُدُومَهُ".

إنه موجود في كل وقت، يبصر كل شيء، ويراقب. إنه ضابط لكل...

إن تأنى على الكرامين، فإنما لكي يتوبوا ويصلحوا طرقهم، لا لكي يعيشوا في عدم اكتتراث ولا مبالاة. وإنما يقول الكتاب عن الذين تصرفوا كما لو كانوا هم أصحاب الكرم، وجدوا البعض من عبده، وأهانوا البعض وأرسلوه فارغا، وأخرجوا البعض خارجا، وقتلوا من قتلوا؟..

نعم، ماذا قال الكتاب عن أمثال هؤلاء؟.. قال: إنه، يأتي وبهلك هؤلاء الكرامين، ويعطي الكرم لآخرين." (لو 20). وقال لهم رب: "مَلْكُوتُ السَّمَاوَاتِ يَنْزَعُ مِنْكُمْ، وَيُعْطِي لِأُمَّةٍ تَصْنَعُ ثَمَارَهُ" ..

ما أرهب هذا الكلام!! ليت كل من يسمعه يستيقظ، ويملاً وعاءه بالزيت قبل أن يأتي العريس. ليت كل من يسمعه يصنع له أصدقاء من مال الظلم قبل أن يقول له رب: "لا تكن وكيلًا بعد".

ليتنا تتأكد أننا لسنا أصحاب الكرم. فصاحب الكرم هو الله.